قضايا الأدب والأدباء

المثقفون والنكسة

بقلم الدكتور جورج حنا

قليلون هم من يلقون المسؤولية على المسؤول الحقيقي . المسؤول الحقيقي هو الشعب ، ومثقفوه بالدرجة الاولى. فالاديب الذي ينصرف الى حسن الديباجة ، ورصف الكلمات البليغة فيما يكتب ، أرواية كان أم قصة أم شعرا ، لكي يقال انه أديب كبير ، عازفا عن الاهتمام بما يهتم به الشعب ، ويحتاجه الشعب من اصلاح في الادارة، واصلاح في السياسة ، السياسة الخارجية بصورة خاصة ، ليس له قيمة فعلية ، في تحسين الامور ، في منطقة هي بأمس الحاجة الى تحسين سياستها الداخلية والخارجية .

فقد صدق من قال ــ أظنه ستالين ــ ان الادب مسؤول والاديب هو مهندس النفوس . فالاديب الذي لا يشعر بمسؤوليته ، ولا يقوم بها ، انما هو « أديب كلمة » لا أكثر ولا أقل .

وعندنا هنا في لبنان وفي الاقطار العربية ، من أدباء الكلمة ما يصل حتى التخمة .

ان الشرط الاول في الاديب ، أن يتحسس بشؤون بلاده كلها ، ويتحسس أكثر بالشؤون الانسانية عامة .. ذلك لان في جعبة رأسه ما لا يوجد في جعبة رأس غيره .. وهذ الذي في جعبة رأس الاديب ، يجعله المسؤول الاول عن اصلاح ما يجب اصلاحه .

فما هو الدور الذي يقوم به مثقفو لبنان ومثقفو العرب كلهم ، في أهم قضية يواجهها العرب في جميع أقطارهم .. وهي قضية العدوان الاسرائيلي ؟

هنا أجدني أتساءل : ماذا عمل مثقفو العرب لتلافي نكبة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ؟ كل ما عملوه هو الاحتجاج على غدر اسرائيل ، وتنكيلها باخوانهم في الشعب الفلسطيني .. الاحتجاج تارة للدول الكبرى ، وللمنظمة ذات الاسم الكبير ، منظمة الامم المتحدة ، تارة أخرى . والاحتجاج هو شيمة الضعيف والمتضاعف .. فلا اسرائيل عادت عن غيها ، ولا الامم المتحدة عملت شيئا يعيد اسرائيل عن غيها .. كل ما عملته اصدار قرارات بشجب أعمال اسرائيل الاستفزازية ، ضربت بها اسرائيل عرض الحائط .

بالامس القريب أقامت اسرائيل مهرجانا كبيرا في مدينة القدس ، لكي تسجل ملكيتها لهذه المدينة المقدسة. هاج العرب ، كل العرب.. واستنكرت شعوب العالم كلها عمل اسرائيل .. ومشت الجماهير العربية في مسيرات صامتة ، اكتفى المثقفون بتأييدها .. والتأييد وحده ، لا يأتي بأي فائدة ، ولا يجدي الا في الاستهلاك المحلي .. وعندما يكتفي المثقفون بالاستهلاك المحلي ، فكل ما يكتبونه ليس له أي قيمة ايجابية ، مع ان المطلوب من المثقف ، ولا سيما في هذا الوقت الذي يتطلب أعمالا ايجابية ، لا كلاما بليغا ومنمقا فقط .. المطلوب من المثقف ، أن يعرّف الانسان البسيط ، على الاعمال الايجابية لمجابهة القضية الراهنة ، التي هي أخطر قضية يواجهها العرب .

ان عندنا في الاقطار العربية عددا كبيرا من المثقفين .. وان عندنا أيضا عددا كبيرا من المجلات الادبية والعلمية ، فما كنت أقرأ فيها أنا المثقف (عفو الكلمة) ما يهزني تجاه أخطر مشكلة، مشكلة نكبتنا «الحزيرانية» . مجلة واحدة هزتني هزا ، هي مجلة « الآداب » لصاحبها الدكتور سهيل ادريس ، في عددها الممتاز عن المقاومة الشعبية ، وطريقة معالجتها بجدية العلم .

اللهم لا مجاملة اذا قلت اني شممت في هذا العدد الممتاز ، رائحة بداية الدور الذي على مثقفي العرب أن يقوموا به .. آملا أن يتابعوا ما به بدأوا . ان العدو لا يخطو خطوة واحدة ، الا كما يمليها عليه العلم .. هذا ما يجعله ينجح في عدوانه ، في حين اننا نحن نستبدل التوجيه العلمي بالتوجيه الدعاوي والفوغائي ، والمسيرات التي ليس منها أي قيمة فعلية .

مسيرة واحدة أدخلت في الامل ، اذ رأيت لاول مرة مثقفي لبنان ، شبانا وشابات ، طلابا وطالبات ، أدباء ومؤلفين ، يمشون في مقدمة هذه المسيرة ، مما جعلني أؤمل لتحسس المثقفين بشؤون البلاد المصيرية ، بينما كانوا بالماضي يهتمون بأدب الكلمة فقط ، يكتبونه من برج عاجي ، ويترفعون عن مشاركة الناس البسطاء كما لو كانوا هم وحدهم أهل الفطنة .. وكما لو كان لادبهم ــ أدب الكلمة ــ ما يكفي لاخراجنا سالمين من النكبة « الحزيرانية » .. وكما لو كان في أدبهم ــ أدب الكلمة ــ ما يغنينا عن الاخذ بالطرق العلمية ، والاخذ بتحسس ما يتحسس به الشعب في صميم ضميره تجاه نكبة الخامس من حزيران ، والنكبة الاصلية والاصيلة ، نكبة الوجود الصهيوني في قلب بلادنا . ألا فليعلم هؤلاء ، ان كل ما يمطروننا به من أدب الكلمة ، ليس له مطلق قيمة في مجابهة أكبر خطر يواجهنا به العدو الصهيوني الغادر، ومن هم وراءه من الدول الغربية الاستعمارية ، ذات السياسة الجونسونية .

جورج حنا